الانتخابات النصفية والزمن الملائم للسقوط

حمدان حمدان *

■ لعله العنوان المناسب للزمن البوشي القادم فبعد اقل من اسبوعين من كتابة هذه السطور، ستجري انتخابات نصفية للكونغرس الامريكي من نواب وشيوخ، يمكن ان يستقر المفتاح بموجبها، في جيب احد الحزبين الكبيرين، الامر الذي سيؤسس لمصير الرئيس بوش لما تبقى من ولايته الثانية، من زاوية استحواذه على الصلاحية المدعومة باكثرية برلمانية جمهورية، وبما يحمل على التنبؤ، بان الجولة لجهة الجمهوريين خاسرة هذه المرة، وان بوش لن يخسر مغامراته في وحيه فحسب، بل سيخسر نفسه وربابنة سفينته، اولئك الذين فجعوا العالم بسياسات كارثية، يحق لها ان تقودهم الى اقفاص المحاكم الدولية، لا الى مقاعد الكونغرس.

في هذه المقالة المرثية، فاننا لا نستنسب لصفتنا الشرقيه نبوءات رومانسية تعكس الامنية في النفس قدر ما هي حاصل وقائع جارية، منذ ان تنكّب بوش ولايتيه الرئاسيتين، في غفلة شعبية معهودة، من حيث ان اهتمامات الامريكي الخارجية، تقع في المحل الاخير، اذا قيست باهتماماته الداخلية، وان التنبّه للخارج (فيتنام مثلاً) لم يكن ليكتسب نفوراً، الا بمقدار ما بات يؤثر في حياته الداخلية، سواء لجهة عديد الضحايا والمعوقين، او لجهة تهديد نمط الحياة الداخلية التي اعتاد عليها. وتشير نتائج الاستطلاع الامريكية، الى حدوث فجوة (ما بين 13 نقطة وعشرين نقطة) لصالح الحزب الديمقراطي، فاذا ما كانت الانتخابات النصفية تشمل جميع اعضاء مجلس النواب، ونصف اعضاء مجلس الشيوخ، فان الكونغرس بشقّيه، سيخضع لاكثرية ديمقراطية، لا نعرف مدى صدقيتها بين ما قبل الانتخابات وما بعدها!.. لكن الديمقراطي في جميع الاحوال، سيعمل لبرنامجه وناخبيه، بما في ذلك الاستعداد المسبق، لانتخابات رئاسية مقبلة.

ان ما يهمنا نحن العرب، لا يتعلق بالمراهنة على احد الحزبين، ايهما افضل بالنسبة لقضايانا الخاصة، بل ربما ما هو اقل سوءاً، فعلى الديمقراطي اذا اراد تجنب المآل الذي سينتهي اليه حزب بوش، الا يكرر اخطاءه القاتلة، فالانتخابات النصفية باسبابها اكثر من نتائجها، فهي تدور في مناخ فشل ذريع لمغامرات الحروب الدموية في العراق وافغانستان، اذ لا يعرف حتى الآن، ثلاثمئة مليون امريكي، شيئاً عن الحكمة لغزو هذين البلدَين، ورغم ان الشعب الامريكي، لاسباب تاريخية، لا تهمه الحكمة بمقدار المنفعة، الا انه في وضع اضطراري يسأل اليوم، عن ماهية تلك (القضية الشهيرة) التي اسمها العراق، وما هو نفع امريكا، من حرب قاربت كلفتها البشرية (المعترف بها) زهاء اقل من ثلاثة آلاف قتيل وما يربو على عشرين الف مصاب، وهذا غير الكلفة البشرية، لمجاميع قتالية امريكية مرتزقة، لا حق لهم بالاعلان عن موتهم في ميادين العراق او افغانستان.

ما نفع امريكا من حرب، تنهب من الثروة الامريكية، ومن جيوب دافعي الضرائب، ما وصل حتى الآن، زهاء ثلاثمئة وخمسين مليار دولار (للعراق وحده) مع طلب سبعين اضافية تحظى بموافقة مجلس النواب ذي الاكثرية الجمهورية!.. ما الذي استفاد منه الشعب الامريكي، وهو يرى شعوب العالم، تنظر الى ادارته وهي تمارس سياسات الحروب الهلعيّة، بديلاً عن اساليب الدبلوماسية ومنطق الحوار لصالح حوار المدفع والدولار والنفط.

ففي القرن الواحد والعشرين، الذي هو قرن امريكا بامتياز، خسرت المرحلة البوشية، معظم حلفاء امريكا التاريخيّين، ففيما كانت امريكا اللاتينية هي الحديقة الخلفية لامريكا الشمالية، فانها تنقلب في معظمها، الى عداء سافر، وها هي اوروبا، تنحو باتجاهات استقلالية عن الربط الامريكي، سواء في اسبانيا وايطاليا فضلاً عن حليف اهم، يلقى مصيره في الانتخابات البريطانية المقبلة.

ومع سيرورة التقدم نحو الانتخابات الفاصلة في تشرين الثاني (نوفمبر)، تجري مياه غزيرة في المسيسبي، فقد سبق ان تعالت اصوات من شخصيات سياسية وعسكرية وفكرية. مثل بريجنسكي وسكوكرافت وكيسنجر وكيري وفوكوياما.. وعشرات آخرين من اساطين الفكر السياسي الامريكي، اضافة الى جنرالات كبار، سبق لهم الاسهام في التخطيط والاضطلاع بعمليات غزو العراق، يطالبون بالخروج من العراق، (في وقت قريب ما..) على طريقة رئيس الاركان البريطاني، حتى لو تراجع عن تصريحه، لكنه اصر على ايراد ما هي الحقيقة فيه.

ومع هذه الحيثيات العالمية والداخلية، فان ثمة وقائع تتصل بفضائح سياسية ومالية وجنسية، تتطاير في اجواء ادارة بوش، لا سبيل الى اخفائها، فهناك مشكلة قديمة، تتصل بصندوق اعمار العراق، وهي تشكو من اختفاء مليارات الدولارات في ظل شخصية بوش المفضلة في العراق الحاكم بريمر، وهذا بحسب تقرير المفتش العام المُعين من الكونغرس الامريكي نفسه، وان ثمة اساءة استعمال لمنصب نائب الرئيس تشيني، حين تمنح معظم العطاءات في العراق، لشركة كان تشيني يدير مجلس ادارتها (هاليبورتن)، وهي ملاحظة متضمنة في تقرير المفتش العام لا غيره.

وعلى الصعيد السياسي، ثمة فضائح تبتدئ بالاخطاء الاستخباراتية، التي ارتضى جورج تينت تحمل مسؤوليتها، مجنّباً ادارة بوش المسؤولية، فيما عوقب السفير الامريكي في النيجر (لرفضه الصامد تهمة اليورانيوم للعراق)، بافشاء علاقة زوجته بجهاز الاستخبارات، فيما اثبتت التحقيقات بان هذا الافشاء، الذي يعاقب عليه القانون، كان قد خرج من مكتب تشيني فيما يعاقب (المكتب) ولا يعاقب رئيسه!..

وبالمقابل، فان سيدة الدبلوماسية الامريكية كانت في وقت سابق، قد اعترفت بآلاف الاخطاء التكتيكية في العراق، لكنها احجمت للاسف، وهي صاحبة الفكر الراجح في الادارة، عن كيف ان آلاف الاخطاء التكتيكية، لا تنقلب الى اخطاء استراتيجية ـ كارثية في مرحلة ما؟!

وعلى طريق الانهيار الانتخابي، ثمة عقبا على الطريق، ففي ازماننا القريبة، صدرت اشارات بمثابة مراث على طريق وداع حزب بوش في الكونغرس، ورغم ان هذه الاشارات في مستوى حقائق دامغة الا ان الرئيس بوش في حالة انكار مقيمة، يتهم الاعلام ومراكز البحوث والاستطلاع والكتاب والجامعات.. بان (اشاراتهم) ذات دوافع سياسية انتخابية ليس اكثر (اذ لو لم يكن في العراق، لجاءت ذرائعهم على غيره، وهو من تصريح صحافي له مع رئيس افغانستان كرزاي). وقد صادف في مرحلة قصيرة، ان تلقى بوش رزمة من الصدمات المتتالية، اهمها ما يجري على ارض العراق اليوم، فقد اضطر الرجل للاعتراف بمتشابهات بين ما جرى في فيتنام بالامس، وما يجري في العراق اليوم ربما بعد ان سمع بمقتل خمس وثمانين جندياً امريكياً في اقل من ثلاثة اسابيع من شهر تشرين الاول (اكتوبر)، وهي اعلى نسبة خسارة بشرية في حدود مدة قصيرة، وفي تصريحات عسكرية امريكية، فان عملية ما، تقع في كل خمس عشرة دقيقة، وان مجموع العمليات منذ طلوع الشمس الى مغربها، بات يجاوز اربعمئة عملية في ارجاء العراق، اما بخصوص حكومة الدمية في عاصمتها المنطقة الخضراء، فانها ما زالت تعد بالسيطرة على الامن ووعود اخرى؟ وفي الداخل الامريكي، فان الفضائح تتدرج من السيئ الى الاسوأ، فحزب العائلة والدين والاخلاق، وربما التخصص في تلقي وحي الاب الاعلى (التعبير لبوش)، فان ممثليه في الكونغرس، يقدمون مشاهد التحرش بالتلاميذ، وقد استقال النائب مارك فولي لثبوت التهمة، وهو آخر ما تبقى لبوش كي يتشدق به، وعلى تفرّد هذه الفضيحة كسلوك شخصي، الا انها صادرة عن سيناتور يمثل حزباً حاكماً، ومن هنا، فان تاثيرها المجتمعي سيعمل في الوجه السيئ لمسيرة انتخابات.

وفي مشهد النوازل اللاحقة بحزب بوش، ما اثاره تقرير ست عشرة وكالة امنية امريكية، من ان الارهاب مع الزمن البوشي، يتسع الى درجة تهديد الولايات المتحدة على صعيدي الخارج والداخل، ولئن مضى الرئيس وادارته بالتغريد خارج العقل، فان المزيد من المتطرفين سيتقاطرون الى ساحات العنف العالمية.

وفي تقدم الوقت نحو الانتخابات، فان الاراء باداء بوش وحزبه الجمهوري، تتوالى على ايقاع القصف المدمر لما احدثه كتاب بوب وورد الجديد (حالة انكار)، اذ رغم الاطناب في تحقيق الانجازات والانتصارات (الديمقراطية) الامريكية في العالم بدءاً من العراق، فان الحقائق (على عناد بوش) تشير الى عالم دموي في طريقه الى انفجار اكبر.. وفي مثل هذا العالم فان امريكا ستخسر قرنها، باسرع من سقوط اية امبراطورية في التاريخ.

وما بين امريكا وحليفها الاوثق بريطانيا، خلافات مخبوءة ومعلنة، فمن المعلن منها مثلاً، ذلك الخلاف الذي ذاع صيته، حول مطالبة لندن بوجوب اغلاق غوانتنامو وربما السجون السرية، لتعارضها مع ابسط الحقوق الانسانية، وهناك خلاف اثاره تصريح الجنرال ريتشارد دانات قائد الجيش البريطاني، حين وجّه صفعة قوية الى السياسات الامريكية والبريطانية في العراق (ان وجود بريطانيا في العراق اضرّ بامن بريطانيا، فنحن في بلد مسلم، والاجنبي في بلاد الاسلام، مرحب به اذا كان مدعواً لكننا لم نتلق دعوة حين دخولنا العراق!..) ويضيف (ان نشر الديمقراطية وفق هذه الطريقة، هي فكرة ساذجة) ورغم الضغوط الخارجية والداخلية كي يتراجع الجنرال عن اقواله، الا ان الصحافة البريطانية خرجت لتقول اخيراً (لدينا هنا ضابط مستعد للحديث عن حقيقة الاوضاع كما هي، والا يكون مجرد بوق في فم بلير..).

وهكذا ينتهي بوش دليلاً انتحارياً، لاقبح ما في السياسات الخارجة من سوءات، فقد ايقظ مشكلتين عالميتين، بسبب حرصه التوراتي في تشطير العالم الى محورَيْن، وهو ما يظهر الغباء بقدر ما يدل على مغزاه الخاص، بوصفه غباءً ايديولوجياً محضاً من شانه ان يقلب البيت الابيض الى كنيسة، فبسبب بوش وولعه في استنباش المتاعب بصفتها حلولا في مخياله، فقد سلّط الضوء المبهر على (شرور/ كيم ايل يونغ، وما تمثله كوريا الفقيرة) من تهديد للامن الامريكي!.. كذلك راح في فلسفة يوحى بها، يفعل الشيء ذاته مع احمدي نجاد واصفاً الرجل الذي لم يقسم بعد (قسم الرئاسة) بانه من مكمن التطرف والشر، فاستثار بذلك توترات اضافية، قد تسبق بوش وتتحداه، بل وتسبق سياسات الولايات المتحدة وتتجاوزها، فحضور التجربة في العراق لم يعظه، وبوش لا يستوعب ان الطبيعة الايديولوجيه والقدرة التدميرية لكوريا اولا وايران ثانياً، ليستا في معرض استجداء دولارات، او رفع الراية البيضاء امام وعيد بات من المفهوم، ان امريكا لا تقدر على تحقيقه، وفي مُضيّ بوش الى سياسات حافة الهاوية، فانه يضع امريكا في مغامرة مركبة، فاضافة الى المغامرات التي حظيت بفشلها، فانه يُحمّل امريكا فوق طاقتها فامريكا لا تستطيع الاستمرار مع المشكلات التي صنعتها، من كابول الى بغداد وصولاً الى فلسطين ولبنان، فكيف وهي تصنع مشاكل لها شديد الارتباط مع سياسات ومصالح قوى عالمية صاعدة؟!

وكان ينقص بوش وادارته، تلك النتائج الكارثية التي جاء عليها تقرير المجموعة البحثية في جامعة جونز هوبكنز، وهي واحدة من اهم عشر جامعات على مستوى العالم، ويروي رئيس المجموعة البروفسور جلبرت برنام، ان مجموعته البحثية، خاطرت بسلامتها وارواحها، حين تمكنت من زيارة ثمانية واربعين موقعاً عراقياً (مدن وبلدات وقرى) في جميع ارجاء العراق، ومن دون اخطار مسبق، فقد زارت المجموعة زهاء 1890 عائلة مختلفة... فكانت النتيجة ان عديد القتلى من العراقيين بسبب الاحتلال، وصل الى 655 الف قتيل، اي ما يساوي نسبة 2,5 بالمئة من سكان العراق، وان هذه النسبة بالنسبة لامريكا تعادل مقتل 7,5 مليون امريكي، وانها تعادل ضعفي عديد القتلى في هيروشيما وناغازاكي، و14 بالمئة من ضحايا الحرب العالمية الثانية، ومئتي ضعف من ضحايا البرجين في نيويورك!.. وما زال السيد بوش في حالة انكار، يعاند رفض الرقم المذكور. ولكن دون رقم مقابل، لا من البنتاغون ولا من وزارة الخارجية، اما الكوميديا المضافة، فكانت في استشهاد بوش، برفض الحكومة العراقية، لارقام قتلى جامعة هوبكنز!..

ومع تطاير هذه الانجازات في سماء الزمن البوشي، فاننا نرجو الله ان يلهم الشيخ بن لادن السكينة فلا يعمد الى اثارة مشكلة في مرحلة ما قبل الانتخابات، من شأنها ان تقدم خدمة غير مقصودة لحزب بوش، فقد آن للشعب الامريكي ان يستيقظ من تلقاء ذاته، فيضع لنفسه مستقبلاً هادئاً وعقلانياً يعيده الى حاضنة التفاهم المتبادل مع العالم المقهور.

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

في عيد ميلادها العاشر: ما الذي اضافته «الجزيرة» للعرب والعالم؟

نور الدين العويديدي*

يقول المدير العام لشبكة «الجزيرة» السيد وضاح خنفر، او هي الطريق الاقصر لوضع حد للحروب، باظهار بشاعتها امام الناس.

■ تحتفل قناة «الجزيرة» هذه الايام بعيد ميلادها العاشر. خلال الاعوام العشرة الماضية سجلت القناة نجاحات كبيرة، لم تسبقها اليها اي وسيلة اعلام عربية على الاطلاق. لكن «الجزيرة»، رغم نجاحاتها، او ربما بسبب تلك النجاحات، اثارت حولها جدلا كبيرا لا يكاد يتوقف. فما الذي اضافته القناة للعالم العربي وللعالم خلال عمرها العامر بالكثير من الانجازات وبالكثير من الجدل المثار حولها منذ انبعاثها؟

اضافت «الجزيرة» للعالم العربي:

– قدرا غير مسبوق من الحريات. فقد مثل تاريخ ميلاد القناة تاريخ ميلاد اعلى قدر من الحريات تعرفه الشاشات العربية الصغيرة. اذ كانت التلفزيونات العربية تلفزيونات رسمية، تسبح بحمد الحكام وتلهج بالدعاء لهم، حتى جاءت «الجزيرة»، فلم يعد خبر الرئيس او الملك او الامير هو الخبر الاول في نشرة الاخبار، وصار العالم اكبر من الاقطار الصغيرة وامرائها وحكامها، وبات بوسع المرء ان يرى ويسمع اخبار الشعوب، في سرائها وضرائها. كما بات بوسعه ان يسمع نقدا، لاذعا في كثير من الاحيان، للحكومات والحكام، ولم يكن العرب يعرفون من تلفزيوناتهم من قبل، الا الانجازات العظيمة، التي لم يجد بها الزمان سوى على امة العرب في هذا الزمان.

– اطلقت «الجزيرة» حركة اعلامية واخبارية عربية جديدة، قامت على اسس غير الاسس التقليدية للاعلام العربي. فالجزيرة ام الفضائيات العربية الاخبارية كافة، بهذا المعنى، والجميع قلد «الجزيرة» وحاول استنساخ تجربتها. وعلى الرغم من ان سقف الحرية في معظم القنوات العربية الاخرى، ادنى من سقفها في «الجزيرة»، الا ان الجميع كان ينحت تجربته وامامه تجربة «الجزيرة»، يقيس عليها، يقترب منها ويبتعد. لكن لم يعد ممكنا بعد «الجزيرة» العودة الى ما كان قبلها. حتى القنوات الرسمية العربية اخذت من «الجزيرة»، وحاولت ان تقلدها، رغم هجماتها المتكررة عليها.

– اثارت «الجزيرة» نقاشات وجدالات واسعة في النخب العربية حول اوضاع العرب المختلفة. وصار بوسع المشاهد العربي ان يرى على الشاشة اتجاهات فكرية وسياسية وعقائدية مختلفة. ولم يعد مع «الجزيرة» ثمة مكان للراي الواحد. وكان برنامج «الاتجاه المعاكس»، وخاصة في بدايته، بمثابة ثورة في عالم الاعلام العربي. فمع هذا البرنامج ومع برامج اخرى في القناة، صار ثمة اعتراف بالاختلاف والتعدد. واصبح لتيارات ورموز فكرية وسياسية لم يكن يعرفها المشاهد العربي من قبل من خلال وسائل الاعلام حظ في اعلام الصورة والصوت، بعد ان كان محرما عليها من قبل.

– مع «الجزيرة» ايضا صار الصحافي سلطة حقيقة، واحتل الاعلام موقع السلطة الرابعة، التي لم يعرفها العرب من قبل، مثلما لم يعرفوا السلطة الثانية والثالثة، واكتفوا بالسلطة التنفيذية المهيمنة على كل شيء، واعيد الاعتبار للصحفي العربي، باعتباره يمثل المشاهد، ويساعد في الوصول الى الحقيقة، بخلاف الصحافي الرسمي، المكلف عادة بمهمة التلميع والتمجيد والمدح والثناء. فمع حوارات احمد منصور وفيصل القاسم وسامي حداد وآخرين من محاوري «الجزيرة» ومذيعيها، صار المسؤول العربي يقف متوجسا «خائفا»، ولم يعد كما كان يستغل ظهوره الاعلامي للتفاخر بانجازات لا يراها المواطنون على ارض الواقع.

– ومع «الجزيرة» صارت اخبار العرب تسلط عليها الاضواء بايدي مهنيين عرب، بخلاف ما كان حاصلا في السابق، حين كان العالم العربي مجرد موضوع للاحداث، وموضوعا للاخبار التي تنتجها وكالات الانباء الغربية. فمع «الجزيرة» صار العالم العربي موضوعا للاخبار، وذاتا منتجة لها في ذات الوقت. وهذا تطور كبير لم يقدّره الكثير من المراقبين من العرب والاجانب حق قدره. مع «الجزيرة» تحقق هذا الانجاز، وهذا واحد من اهم اضافات القناة، التي ولدت كبيرة، وبلغت سن الرشد قبل ان تقفل سنتها العاشرة.

– اما على الصعيد العالمي فان ما اضافته «الجزيرة» انها اسمعت العالم صوتا لم يسمع من قبل. اسمعت «الجزيرة» العالم صوت العرب، وقدمت له رؤيتهم في تناول شؤونهم وقضاياهم. وكان هذا احد اهم اسباب تميز القناة، وسبب تفوقها على الكثير من منافساتها من القنوات العربية والدولية. لقد مثلت «الجزيرة» صوتا بكرا لم يعرف من قبل، فمثلت للكثير مدعاة للتفاجؤ بل والصدمة، فمن لا صوت لهم صار لهم مع «الجزيرة» صوت، ومن كانوا مجرد موضوع صاروا ذاتا، لها رؤية ووجهة نظر.

– ما اضافته «الجزيرة» ايضا على الصعيد العالمي ان الحروب «النظيفة» لم تعد نظيفة، وهل توجد في الواقع حروب نظيفة؟ قبل «الجزيرة» كان المشاهدون لا يرون من الحروب الا حركة الجيوش المنظمة، وابتسامات السياسيين الصفراء او تهديداتهم، واطلاق الصواريخ والقاء القنابل وانفجارها، ولكن عن بعد، وهي انفجارات تكاد تشبه الالعاب النارية، التي اعتاد عليها الناس في المناسبات العامة والاعياد. ومع «الجزيرة» صار بامكان المشاهد ان يرى الدماء والاشلاء والدمار والخراب، الذي لا ينفك عن الحروب، ويجعل الحرب بشعة على الحقيقة. وعندما وقعت مجزرة قانا الثانية في الحرب الاسرائيلية على لبنان، الصيف الماضي، كنت اتابع قناة «بي بي سي ووراد سيرفيس»، وبعد تنبيهات على المشاهدين تحذرهم من رؤية مشاهد مؤلمة، لم ار في تقرير القناة بخصوص المجزرة سوى شخص ميت على حمالة، وجهه مغطى، ويده تتدلى. اما في «الجزيرة» فرايت ما تشيب لهوله الولدان من قتلى بالعشرات ومصابين ودمار هائل واشلاء ودماء.

وعلى الرغم من ان كثيرين يجادلون بان مشاهد القتلى والاشلاء والدماء والدمار صور ليست مناسبة للعرض امام الناس، وفيهم المراة الرقيقة المشاعر والشيخ والطفل، الا ان ذلك هو السبيل الوحيد، كما

***

على «الجزيرة» مؤاخذات كثيرة، وقد تكون مؤاخذات متناقضة، بحسب تناقض القوى والمصالح. اذ يرى البعض ان «الجزيرة» اعطت للتطبيع معنى ودفعا جديدا لم يكن له من قبل.. فمعها صار الكثير من السياسيين الاسرائيليين ضيوفا يدخلون البيوت العربية، دون استئذان. ومعها ايضا فقدت بعض القيم معناها، حتى صارت الخيانة الموصوفة وبيع الضمائر مثلا في العديد من حوارات «الجزيرة» مجرد وجهة نظر.. لكن «الجزيرة» فضحت الكثير من المخبوء، وجرمت الاستبداد العربي، وقدمت جرائم الامريكان والاسرائيليين وبشاعات جيشهم على الهواء، وعرضت وحشيتهم على اوسع نطاق، حتى قال المؤرخ الفلسطيني سلمان ابو ستة انه لو كان في العالم فضائيات، من نوعية «الجزيرة»، في فترة النكبة عام 1948، ما كان بوسع الاسرائيليين ان يدمروا 500 قرية فلسطينية، ولأمكن حماية مئات القرى من التدمير والخراب والتهجير.

* رئيس تحرير مجلة «اقلام اون لاين»

المقاومة الموحدة وحدها تحقق التجاوز التاريخي في العراق

جمال محمد تقي *

■ قد اينعت ثمار التضحيات الجسيمة، وسيحل موعد القطف، حيث تم ايقاف عجلة المحتلين ومشاريعهم التصفوية، فصاروا في حيرة من امرهم لا يعرفون من اي الابواب او الشبابيك ينسحبون ومع اي حدود من التنازلات يتعاطون.

لقد تحول العراق الى ما هو اعظم من فيتنام، لان للفيتناميين وقتها ارضا محررة وذات سيادة وكانت منها تنطلق جحافل الفيتكونغ بالعدة والعدد ـ فيتنام الشمالية، وكان لهم حلفاء كبار مشاركون، سوفيات وصينيون، اما الحال والعراق، فلا ناصر ولا معين، لا حلفاء بوزن الاعداء يكونون ظهيرا قويا لمد مقاومة العراق بما يلزم، ولا قطب مضاد يضبط قواعد الترويع والابادة الاستباقية التي تصول وتجول وهي في حل من اي محدد او عرف، مقاومة العراق، وحدها وجها لوجه ضد اعتى قوة عرفتها البشرية بكل تاريخها القديم والحديث، مقاومة العراق عارية الا من عدالة قضيتها وتضامن ودعم شعوبنا العربية والاسلامية المغلوبة على امرها، ومن التضامن الاممي الحقيقي لكل احرار العالم الذي يعاني اصلا من غباء وغطرسة الادارات الامبراطورية في امريكا، على حد تعبير فرناندو الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية والذي حاول ولاول مرة ان يكون موضوعيا فوجد نفسه خارج سرب حاشية الادارة!

بكل ما نملك نحن مطالبون بتقريب اجل الاحتلال وما ترتب عليه، مطالبون باستحضار يوم الملحمة، يوم التجاوز التاريخي الذي به وحده يكون طريق الخلاص من جحيم الاحتلال وسرطانه المتفشي بالجسد العراقي، اليوم الذي تفتح فيه الافاق الحقيقية كي يستعيد شعب العراق حريته ويرسم مستقبله بنفسه دون وصاية او هيمنة، كي يستانف مسيرة تحقيق ذاته بتنمية نفسه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لمصلحة اجياله القادمة، ببناء دولة عصرية دستورية قوية تؤمن ان الانتقال السلمي للسلطة وتكافؤ الفرص والمواطنة اساس لها بمعزل عن اي هوية اخرى، في دولة تؤمن الامن والحياة الكريمة والرفاه لمواطنيها بعقد الحقوق المتساوية والواجبات المتساوية، وحتى يتحقق ذلك ولكي لا يكون الثمن مضاعفا ولكي نوفر على عراقنا مزيدا من الويلات، الجميع مطالب وبالتحديد قوى المقاومة والممانعة العراقية وبكل فصائلها المسلحة وغير المسلحة في الداخل والخارج لان تعقد العزم على الارتفاع بهمتها وطريقة عملها وعلاقاتها مع بعضها الى مستوى المسؤولية التاريخية والى حجم الهجمة الاستئصالية الخطيرة التي لا تستثني احدا بل لا تستبقي على شيء من العراق سوى الركام، مطالبة وقبل كل شيء بتحويل اسلوب المقاومة الى كفاح شعبي متمدد ولكل حسب قدرته، زرع الثقة بالمستقبل الذي ترسمه سواعد المقاومين، وحتى يكون ذلك يسيرا علينا الاتفاق على برنامج عمل وطني شامل هو برنامج التحرير والبناء والتقدم، برنامج الحرية المسؤولة والتعددية المتعايشة برنامج التحول الديمقراطي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، ان اشد خطر على المقاومة هو الوهم الذي قد يصيب بعض فصائلها من انه قادر لوحده على اختزال الاخرين وانتزاع بيعتهم له بعد ان يفرض شرعيته من خلال وثوبه للسلطة بعد تخلخل الموازين، ان الاستئصال او الاستفراد والاجتثاث والشمولية وضيق الافق كلها طرق معبدة نحو الاستبداد، وعليه فان شرعية المقاومة ستبقى ناقصة اذا لم تستكمل ببرنامج وطني تتواصل عليه ومن اجله الاكثرية الساحقة من كل ابناء الشعب المقاومين والممانعين، شرعية تضحياتها ونضالها لا تكفي لتكون هي شرعة المستقبل بل شرعيتها كممثل للشعب تتأتى من خلال اقرارها لان تكون هي الحارس الامين لارادة الشعب بعد التحرير ولا تكون عبئا عليه، وهنا تكمن اهمية وحدة فصائل المقاومة باتجاهاتها المختلفة لتنتزع جميعا صك التحرير وتحافظ عليه بمرحلة انتقالية، يسير الامور بها المتخصصون الوطنيون تحت اشراف مجلس جبهة التحرير والبناء العراقية حتى تستتب الامور ليتنافس الجميع تنافسا شريفا في ظل اوضاع غير استثنائية ليتسنى لابناء الشعب المفاضلة بين برامج ومشاريع وخصائص كل متنافس على تمثيلهم.

دون ذلك سيكون موعد القطاف نقمة اخرى يدمر فيها المحصول على الارض والشجر حيث لا استعداد ولا خطة ولا ادوات ولا تنسيق بين فعاليات المقاومة بشقيها السياسي والمسلح لتكون ممهدة طبيعية لقيام شرعية جديدة هي شرعية شعبية التحرير وقدرتها على معالجة الاحتياجات الحقيقية لابناء الوطن كله.

المثلث التاريخي

النضال الوطني ليس منة على الوطن وابنائه، بل هو واجب ليس مقابله ثمن، انما التقدير الوحيد هو تقدير ابناء الشعب لهذا النضال، وعندما يمنح الشعب فرصة حقيقية للاختيار فمن الطبيعي وقتها سيكون للمناضلين اصحاب الادوار المشرفة والنزيهة في معاركه الحظ الاوفر في هذا الاختيار.

لقد افرز مرجل التفاعلات السياسية العراقية بين الفئات السياسية والشعبية داخل العراق وخارجه تيارات حية وفعلية لها حضور شعبي ودور سياسي وتعبوي وهي لم تستنفد بعد شحناتها ومداها التاريخي وما زالت تتبلور حولها الاستقطابات الاساسية في مجتمعنا وبتجليات متعددة، واجمالا نستطيع القول ان هناك مثلثا متلازم الاضلاع بين التيار الوطني بكل تراتبية فئاته الليبرالية والديمقراطية، والتيار القومي التحرري ايضا بكل مستوياته، والتيار الاسلامي التحرري، قد كشفت جميعا عن ملامحها الاساسية، وقد لازمت هذه العملية تنقيات وتقلبات وصراعات ليست بالهينة ادت ايضا الى عملية براز للقوى المشوهة وغير الوطنية والتي ربطت مصيرها بمصير الاحتلال وعمليته السياسية العقيمة.

ان تهافت مستويات الفرز الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري المتسارع من جهة والانحسارات المتتالية للطبقة المتوسطة بحيث اصبحت وكانها غائبة كليا، اضافة الى الانهاك الحاصل بالفئات العمرية الفاعلة والقادرة على العمل ـ بسبب التصفية او الاعتقال او الهجرة او التخفي او الادمان ـ ابرز الى الواجهة الاجتماعية جيلا قليل الخبرة من الشباب وجد نفسه مكشوفا امام خيارات صعبة لم يعهدها جعلته اما يتهور في قرارة نفسه او يتعايش مع تفاصيل المشهد وكانها قدر، ورغم ذلك فإن خبرة هذا الجيل بتصاعد ملفت يعزز خياراته الاجتماعية والسياسية وذلك بفعل دور المقاومة والانشداد المتزايد للطرح المعارض للاحتلال وافرازاته المخادعة في الداخل والخارج، هذه العوامل فعلت فعلها في عرقلة انطلاقة الفرز السياسي اجتماعيا وخاصة في مناطق جنوب العراق، لكنها لم تمنعه من التقدم بل كلما تكشفت ملامح المشروع الاحتلالي كلما زاد تواصل الفئات الاجتماعية الحية مع التيارات المقاومة للاحتلال، الوطنية والقومية والاسلامية.

هذه الحالة تستدعي معالجة بمستوى عال من الجهادية المنظورة وغير المنظورة لانها ترتبط اصلا باصل الهدف، هدف التحرير واقامة عراق حر ديمقراطي مستقل، ودون ترجمة وحدة الهدف كونها وحدة للمصير بين التيارات الوطنية والقومية والاسلامية في حلف تاريخي يؤسس لمشروع التجاوز فان الخسارة الاستراتيجية ستكون شاملة بشمول نتائجها.

وفي هذا السياق فان تلاقي هذه التيارات الثلاثة بتحالف تاريخي يضع لنفسه خططا قصيرة وبعيدة المدى امر لا بد منه لتحقيق الانتصار المنتظر وعكسه فان الخسارة ستعم الجميع في نهاية المطاف، وستكون هي ذاتها من يتحمل مسؤولية دورة الخراب الدائرة امام الشعب العراقي وامام التاريخ.

ان دعوة حزب البعث الاخيرة التي تنفتح على الجميع ودون شروط تفرض عليهم، هي خطوة ايجابية بهذا الاتجاه، الذي يجعل من طريق مقاومة الاحتلال واقامة المشروع الوطني هو الفيصل الوحيد لتلاقي كل اطراف هذه التيارات دون وصاية او اقصاء.

من يتمعن في قراءة المبادرة سيجد انها تؤشر الى تواصل قادم تشكل فيه الدعوة هذه اول الغيث ولكي تكون لها انعكاسات ايجابية مطالب البعث قبل غيره لحساسية دوره، وتعقده، تغذيتها وانعاشها على الاصعدة السياسية والميدانية ليجري تحقيقها بالتلاقي الوطني المحصن.

لقد اخذت تتضح يوما بعد اخر الاهمية الاستثنائية لصياغة مشروع برنامج وطني تحرري شامل تتفق عليه تيارات العمل الوطني المقاوم السياسي منها والمسلح، بقيادة جماعية متناوبة، دليلها التحرير والاستقلال والبناء الديمقراطي اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وسياسيا وفكريا، وتحقيق هذا الهدف يعتبر نقطة تحول ضاغطة باتجاه خلاص شعبنا من محنته التي سيطول امدها كلما تفرق رفاق الدرب الواحد.

* كاتب من العراق

لمواجهة الانقضاض العسكري الاسرائيلي الوشيك!

جواد البشيتي *

■ مزيد من النار الاسرائيلية أُضيف، او سيضاف عما قريب اذا ما فشلت جهود رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في التوصُّل الى اتفاق مقبول «دوليا» مع قيادة «حماس»، الى النار الفلسطينية الداخلية، التي بعضها نار يراد لها ان تحرق كل ما بقي من اتفاق وتوافق بين «فتح» و«حماس»، وبعضها يراد له طبخ او انضاج حل يدرأ عن الفلسطينيين مخاطر الاقتتال والحرب الاهلية، ولكن بما يلبي، في الوقت نفسه، ما يسمى شروط ومطالب اللجنة الرباعية الدولية لانهاء الحصار المالي والاقتصادي والسياسي الدولي المضروب على الفلسطينيين، وسلطتهم، وحكومتهم في المقام الاول.

لقد اعد رئيس الوزراء الاسرائيلي، الذي اضعفه داخليا كثيرا الاخفاق العسكري الاسرائيلي الكبير في لبنان، العدة، وقرر، من حيث المبدأ، عملا عسكريا اسرائيليا كبيرا في اجزاء من قطاع غزة، يستهدف اعادة احتلال محور صلاح الدين، الذي يضم معبر رفح، ومدينة رفح مع مخيمها، او اجزاء منه، وقد تشمل اعادة الاحتلال مناطق ومواقع اخرى من القطاع. وبحسب اقوال اولمرت، سيمكث الجيش الاسرائيلي في مناطق القطاع التي يعتزم اعادة احتلالها اشهرا عدة. اما الهدف الجديد الذي تعتزم الحكومة الاسرائيلية تحقيقه فهو تحويل الخط الحدودي بين قطاع غزة ومصر من بري الى مائي من خلال حفر قناة مائية على طول الحدود الفلسطينية ـ المصرية (من البحر المتوسط حتى كرم ابو سالم) فلا يعود ممكنا، بالتالي، اجتياز الحدود، او حفر انفاق، يُهرَّب عبرها السلاح والذخيرة من مصر الى القطاع.

كان الانفصال عن الفلسطينيين، بدءا بالفلسطينيين في قطاع غزة، هو الهدف، الذي صوَّرته حكومة شارون على انه الوسيلة الفضلى لحصول اسرائيل على الامن الذي تريد، والخطوة الاولى والكبرى على الطريق المؤدية الى حل غير دائم، ولكن طويل الاجل. الفكرة، اي فكرة الانفصال، تطورت، فتحولَّ قطاع غزة، بعد خروج المستوطنين والجنود الاسرائيليين منه، الى سجن اسرائيلي كبير للفلسطينيين، اضيفت معاناة جديدة الى معاناة نزلائه هي معاناة الحصار المالي والاقتصادي الدولي. ومضت اسرائيل قُدُماً في فصلها بين القطاع ـ السجن والضفة الغربية المحتلة. وبعد، وبسبب، الاخفاق العسكري الاسرائيلي في لبنان، تخلت حكومة اولمرت عن خطتها لانفصال آخر عن الفلسطينيين في الضفة الغربية. والآن، انشأ اولمرت فكرة جديدة هي الفصل المائي بين الفلسطينيين في قطاع غزة ومصر. وقد يأخذ، مستقبلا، بشيء من فكرة الحل النهائي الذي يقول به شريكه الجديد في الحكم افيغدور ليبرمان، فيُقرِّر ضم اجزاء من الضفة الغربية ال